



العاشرة مجلة

المجلد الثالث، ٢٠١١

مجلة مسجلة لدى المسجل للجرائد في الهند (RNI) برقم KERARA00011
ومجلة معتمدة لدى جامعة كيرلا، الهند



قسم العربية، كلية الجامعة، تروننترم، كيرلا، الهند، 695034

أدب المرأة عبر التاريخ

د/ عبد العزيز الفيضي

أستاذ مساعد، قسم العربية، الكلية الحكومية، كوننجيري، كيرالا، الهند

أدب المرأة أو أدب النساء اصطلاح حديث يستعمل للتعبير على كل ما أنتجته المرأة في اللغة. وإذا قمنا بجولة سريعة في تاريخ الأدب العربي منذ العصر الجاهلي إلى عهدها هذا، نرى حضور المرأة في مجال الأدب ضئيل جداً. إنما ذكر في العصر الجاهلي امرأة أبي حمزة، وأم جندي زوجة أمير القيس، وصفية وعاتكة بنت عبد المطلب؛ وفي العصر الإسلامي زورقان بنت عدى الخطبية، وفاطمة بنت النبي ﷺ، وعائشة (ر) زوج النبي ﷺ، وليلى الأخيلية، وسكينة بنت الحسين، وعائشة بنت طلحة؛ وفي العصر العباسي رابعة العدوية، وجنان حبيبة أبي نواس، وزبيدة بنت جعفر؛ وفي العصر التركي عائشة الباعونية؛ وفي العصر الحديث عائشة التيمورية، ورباب الكاظمي، والباحثة البدائية؛ وأما في العصر المعاصر فحضورها قد أحسن مما قبل. ولكنه بالنسبة إلى حضور الرجال قليل جداً، يعني لم يحسن حالهن كثيراً. وهذا حال الآداب الغير العربية فمثلاً أدب مليالم لا نقدر أن نعد أكثر من ثلاثة من النساء من ساهمن في الأدب ولم يذكر اسم امرأة قط في تاريخ آداب سانسكريتية.

ولتأخر المرأة في مجال الأدب أسباب. يرى بعض العلماء أن خلفها يتعلق بالحرية. ولكن هذا رأي سطحي، لأن النساء كن في حرية تامة في العصر الجاهلي. كانت تصاحب الرجل في العبادة والحروب والتجارة والزراعة، وكانت أحسن حالاً في الحياة الاجتماعية حتى تملك اختيار الزوج كما تفهم من كتب التاريخ والحديث. مع ذلك لا نرى للنساء إلا حضور ضئيل في الأدب الجاهلي. ولا نذكر بين الدواوين الجاهية إلا ديواناً واحداً للمرأة وهو ديوان الخنساء. وربما نقدر على إيراد أبيات أو أقوال من إنتاجهن كما فعل الذين كتبوا وتكلموا عن مكانة المرأة ومساهمتها في الحياة الاجتماعية. المرأة أقوى من الرجل في قوة المكانة وهي تتكلم في حياتها اليومية أكثر مما يتكلم الرجل. والبنت تبدئ التكلم قبل الولد كما هو مقرر في علم النفس. الإنسان إنما يتعلم اللسان من فم الأم ولذلك استقر استعمال لغة الأم . ولكن تخلف المرأة في الأدب وأسبابها الحقيقي ما يلي.

أولاً: ضعف عقلها؛ المرأة بلا نزاع أضعف عقلاً من الرجل وقد عبر النبي ﷺ أنهن ناقصات عقل ودين في حديث رواه البخاري. والعمل الأدبي هو إنتاج الخواطر والقرائح.

ثانياً: طبيعتها الخاصة؛ للمرأة طبيعة خاصة. للمرأة طبيعة خاصة تختلف عن طبيعة الرجل وهي مضطورة في حياتها للانسحاب إلى قعر بيتها والاعتزال عن مجتمعها لأمور تتعلق بطبعتها مثل الحمل والولادة و التربية الأولاد ورعاية البيت.

ثالثاً: فقدان التربية الكافية؛ وفي حقب من التاريخ لم تحصل فرصة لطلب العلم. أما في العصر الحاضر فقد حسن حالها مما قبل مع أن التخلف واقع. لأنها وإن كانت نرى في عالم التأليف كثيراً من النساء أكثر هن إنما قدمن مساهمة ضئيلة خفيفة، وإنما شهerten بتشجيع السلطات الرسمية لاسيما في الدول العربية لأن الدول العربية تعطي عناية خاصة لأعمال النساء، وتظهر زغبة فانقة في تحريم أعمال المرأة وترجمتها إلى لغات أخرى للتفاخر أمام الدول الغربية في مسألة حرية المرأة. بذلك تحصل على شهرة أكثر مما تستحق. وهذا حال الآداب جميعاً. وقد سمعنا في هذه الأيام عن رواية "الجا" البنغالية لتسليماً نسرن، وقد اتفق النقاد على أن هذه الرواية وضيعة لا قيمة لها، ولكن المؤلفة وكتابها نالت مكانة مرموقة وشهرة عالية . وكذلك حصل في أمر رواية "برسا" لخدجية ممتاز في لغة مليالم. وفي رأي النقاد هذه

الرواية لم تكن عظيمة من حيث الفنية، ولكن لما كانت معلنة المعركة تجاه القيم الدينية صارت تتلاطم قلوب الملحدين فشرعوا يختلفون بها. ولكلة أدب المرأة في العصر الرقمي أسباب:

أولاً: التربية؛ قد صارت التربية في هذا الأيام من حقوق الإنسان بلا فرق بين الذكر والأنثى والغنى والفقير والعبد السيد.

ثانياً: تأثير نظرية المساواة بين الجنسين الذكر والأنثى (feminism)، هذه النظرية أخذت تنمو منذ القرن السابع عشر الميلادي. وهي الآن قد سيطرت على جميع الأمم والدول.

ثالثاً: تحديد النسل، وكانت المرأة تضطر للقعود في بيتها للحمل والولادة وتربية الأولاد، ولم تكن هناك وسيلة لإيقاف الحمل. فكانت تحمل واحداً تلو آخر فهذه جعلتها قعيدة بيتها.

رابعاً: فرصـة المـشارـكات في النـشـاطـات الإـجـتمـاعـية؛ وـهـذـه وـسـعـت آفـاقـ فـكـرـها فـتـوـعـتـ تـجـربـتهاـ وـكـثـرـ خـبـرـهاـ. وإن اـخـتـلـفـ مشـاكـلـ اـجـتمـاعـيـةـ مـثـلـ فـقـدانـ الجـيلـ حـنـانـ الأمـ وـتـرـبـيـتهاـ، فـازـدـادـتـ الـأـنـاثـيـةـ وـالـشـحـ وـالـمـيـلـانـ إـلـىـ الـظـلـمـ، وـخـرـابـ الـعـلـاقـاتـ الـعـائـلـيـةـ حـتـىـ كـثـرـ مـنـ يـفـضـلـ الـعـزـوبـ، وـازـدـيـادـ بـؤـسـ الـمـرـأـةـ وـشـغـلـهـاـ، وـتـكـاثـرـ الزـنـاـ وـالـفـوـضـيـ الـجـنـسـيـ.

خامساً: تشجيع الحكام وغيرهم. وقد حصلت المرأة أكثر مما تستحق من التحرير والتتشجيع حتى يترجم كتاب لا قيمة له من لغة إلى لغة لمجرد كونه أدب مرأة كما وقع في أمر "الجا" وهناك مشاكل حول أدب المرأة.

منها: هل يختلف أدبها عن أدب الرجل؟ عند رعاية مبدأ الصدق في الأدب نضطر أن نقول: نعم، لأن الصدق في الأدب الإخلاص التام من الكاتب نحو تجربته وشعوره. ومن الواضح أن هناك تجربة نسوية مثل الولادة وما يكابدهن من الرجال، وأدب المرأة الخالصة لا محالة يعكس هذه الأشياء. ولذلك نرى أدب المرأة دائمًا يعالج موضوعات مثل حرية النساء ودور المرأة والبكاء على الأموات وغيرها. وقد لوحظ تقارب موقف الرجل والمرأة عند معالجة الموضوعات الأكademie.

ولكن أدب المرأة في العصر الرقمي يظهر علامات الخروج من دائرةها الضيقة إلى أفق واسع فيه موضوعات شتى، كما نرى في رواية "حسن العواقب" لزينب فواز المصرية. وهي تصور الصراع بين المرأة والإقطاعيين، وكما نرى في رواية "ذاكرة الجسد" لأحلام مستغانمي الجزائرية التي تتمارى فيها المرأة بالوطن وبيبرز العشق وثيق الصلة بالشهداء الذين يخلصون ويضحون من أجل أوطانهم في مقابل الذين يعيشون بالمال هذه الأوطان. وفي هذه الرحلة يكاد أدب المرأة يتافق مع أدب الرجل في الموضوع وطريق المعالجة اللهم إلا علامات ذاتية للأديب والأديبة. أما حضورها في الفنون الأدبية فهو ينحصر في بعض الفنون دون آخر. وأكثر إنتاج المرأة في الشعر والقصة، وليس لها عمل يذكر في فن المسرحية، وهذا حال جميع لغات العالم. أشار د/ ك. م. جورج في كتاب "تاريخ أداب ملايال": إن مساهمة المرأة في المسرحية لا تكاد توجد في لغات العالم، وأكثر أعمالها في الشعر والقصة. ولا ننسى هناك نقادات أمثال نازك الملائكة ومفكرات أمثال بنت الشاطئ.

المصادر

١. . أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي
 ٢. . صحيح البخاري
 ٣. . هنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي
4. Dr. K. M. George, Malayala Sahitya Charitram Prasthanagalilude
 5. K. C. Pilla, Samskrutha Sahithya Charithram
 6. www.syrianstory.com